الأنوار ١٤/١١/١٩٩٧

ماذا بقي من ميشال شيحا؟

الدكتور نديم مراد: وحدة التنوع ولبنان يبقى بأبنائه

في هذا الحوار مع الدكتور نديم مراد الذي هو خلاصة بحث حول فكر ومؤلفات ميشال شيحا تحت خانة «لبنان الأرض والشعب في ادب ميشال شيحا» نتوقف عند السؤال الأول، ويتلخص في القاء الضوء على حياة الأديب اللبناني الراحل قبل أربعين عاما:

– اين ولد واين كانت حياته؟

ولد في بمكين بالقرب من سوق الغرب سنة ١٨٩١ في كنف عائلة ميسورة الحال تلقى علومه عند الآباء اليسوعيين واشتهر بذكائه وسعة ثقافته إذ كانت له معلومات شاملة في شتى ميادين المعرفة فإلى جانب دراساته في الحقوق والفلسفة والإقتصاد كان شاعرا مميزا وملما في علوم التاريخ والجغرافيا وعلم الإجتماع.

في العشرينات شارك مع ايلي تيان وهكتور خلاط وشارل قرم في اصدار «المجلة الفينيقية» وقام في هذه الحقبة المهمة من تاريخ لبنان بدور مميز في ارساء معالم دولة لبنان الكبير وسنة ١٩٢٥ عُيّن نائبا عن مدينة بيروت وبصفته هذه شارك ١٩٢٦ في صياغة الدستور وقد شاركه في هذه المهمة الشاقة بترو طراد وشارل دباس ويوسف السودا؛ فكانت له المساهمة الكبرى في هذا المضمار.

وبين سنة ١٩٤٢ و١٩٥٤ عمل رئيسا لتحرير جريدة Le Jour الناطقة بالفرنسية. وقد عالج في افتتاحياته مختلف الأمور التي كان يعاني منها الشعب اللبناني فقدم حلولا ناجعة لمختلف المعضلات التي كانت تعترض آنذاك مسيرة الدولة الفتية وإذا ما اعتبرنا الرئيس بشارة الخوري أحد المؤسسين السياسيين للبنان الحديث فإن ميشال شيحا هو البناني الوحيد للإيديولوجية التي قام عليها لبنان المعاصر.

● ما هي اهم الأسس الإيديولوجية لنظرية ميشال شيحا؟

□ لبنان بالنسبة الى ميشال شيحا هو بلد فريد التكوين والتركيب فشعبه مكوّن من اقليات هاجرت إليه من البلدان المجاورة طلبا للحرية وسعيا للمحافظة على معتقداتها الدينية. ولقد تالفت هذه الاقليات مع مرور الزمن وانصهرت فيما بينها لتشكل الشعب اللبناني الذي يتميز بتعدد طوائفه.

وكان هدف ميشال شيحا المحافظة على هذه الطوائف من ضمن تركيبة سياسية تعطي لكل طائفة مهما قلّ عددها حقها في الحياة السياسية وغيرها، من هنا نشا النظام الطائفي.

اقامة توازن الاقليات

● قلنا ان الشعب اللبناني مكوّن من طوائف متعددة لها خصائصها وتاريخها وحضارتها وكل طائفة مهما كثر عددها تبقى اقلية نسبة لمجموع باقي الطوائف. وقد حاول شيحا إقامة توازن فيما بينها من خلال المجلس النيابي إذاً ما هو دور المجلس النيابي بنظر شيحا؟

□ للمجلس النيابي دوران اساسيان فهو اولا

الدكتور نديم مراد: اين الفكر الشيحي والأدب؟

ككل المجالس في العالم مصدر التشريع وعليه واجب مراقبة اعمال الحكومة ومحاسبتها ومن ناحية اخرى هو الضامن لوجود الطوائف من خلال إعطائه لكل طائفة عددا معينا من المقاعد التمثيلية، فإذا كانت الديمقراطية بنظر ميشال شيحا هي حكم الاكثرية، فإن هذا النظام هو الأكثر ديمقراطية لأنه الأكثر تمثيلا للواقع الديمغرافي اللبناني.

ومن ناحية اخرى اعتبر ميشال شيحا ان الحرية ولبنان صنوان لا يفترقان فبلادنا بنظره موئل للحرية التي فهمها غير مجزاة من حرية الراي والفكر والمعتقد لتشمل حرية العمل والتربية والإقتصاد.

● عُرِفَ ميشال شيحا بروحانيته لنلق نظرة حول هذه الناحية المهمة في فكره؟

□ كتب ميشال شيحا مجمل مقالاته في الاربعينات والخمسينات ايام الحرب الباردة التي قسمت العالم آنذاك الى معسكرين يتحاربان بشتى انواع الأسلحة ولقد نظر هذا المفكر حوله فوجد ان العالم الشيوعي لم يكن يقيم وزنا للإنسان، كما ان العالم الرأسمالي اضحى ماديا لدرجة كبيرة؛ بإختصار شديد وجد العالم بشقيه يعيش فراغا روحانيا مخيفا، وبما انه كان رجلا متدينا احب الإسلام كالمسيحية كان لديه ايمان عميق بان على الديانتين المسيحية والإسلامية خلق حضارة جديدة مميزة نابعة من الأسس الروحانية التي تمتاز بها كل من هاتين الديانتين وعلى هذه الحضارة الجديدة ان تملأ الفراغ الروحي الذي يعيشه العالم المعاصر.

هنا يكمن دور لبنان الروحاني وتكمن مسؤوليته لأنه بشكل اكثر من بلد فهو رسالة حيّة للعالم ومثل يحتذى به في هذا المجال.

النظرة العربية

● ماذا عن نظرة شيحا الى العالم العربي؟

□ عايش شيحا تلك المرحلة العصيبة في تاريخ الأمة العربية وهي مرحلة قيام الدولة الصهيونية وقد كان من الد اعدائها اذ اعتبرها سرطانا في الجسم العربي ومنافسا لدودا للبنان على كافة المستويات وقد دافع دفاعا مستميتا عن الشعب الفلسطيني وقضيته وعن القدس بوجه التحديد وله في هذا المضمار حوالى مئة مقال وقد دعا من ناحية اخرى الى قيام تعاون وثيق بين كل الدول العربية لمجابهة كل التحديات وكان من اول الداعين الى توحيد السياسة الخارجية لهذه الدول؛ اما بالنسبة الى الوحدة بين الدول العربية فلم يكن متحمسا لها بشدة، لأنه كان يعتبر ان شعوب منطقتنا متجذرة في ارضها منذ اقدم العصور، وان لكل منها ميزاته الخاصة وتاريخه المميز وخصائصه التي يتفرد بها.

لذا وجد ان الوحدة العربية صعبة التحقيق إلا ان ذلك لم يمنعه من الدعوة لتحقيق ذلك من ضمن خطة علمية بعيدة المدى كما هو حاصل الآن بالنسبة الى الوحدة بين الدول الاوروبية. وقد آمن بدور لبنان المتوسطي، ودعا قبل غيره الى قيام برلمان تتمثل فيه جميع الدول المشرفة على البحر المتوسط، ولقد رأى ان هناك وشائج وثيقة تربط فيما بين هذه الدول إذ إنها كانت مصدرا لحضارات العالم القديم ومصدرا اساسيا للديانات الثلاث ولحضارات العالم المعاصر.

ماذا يبقى؟

● ماذا يبقى من ميشال شيحا؟

□ إن فكر ميشال شيحا عاد لينطلق من جديد ولياخذ بعدا عالميا مميزا. فلقد حاول شيحا ان يحافظ على خصائص كل طائفة وليقيم بالتالي وحدة التنوع:

«L'unité de la diversité» التي تسمح لكل الاقليات بالمحافظة على ذاتها وبالإنصهار في الوقت نفسه في وحدة خلاّقة جامعة. وهذا برايي الثمن ما في فكره ويمكننا تطبيق هذه النظرية في مختلف دول العالم إذ إن الإختلاط بين الشعوب تصاعد بصورة مذهلة خلال نصف قرن المنصرم. ففي فرنسا مثلا اقلية من المغرب العربي بحدود الـ ٥ ملايين وعلى المجتمع الفرنسي ان ياخذ بعين الإعتبار وجود هذه الاقلية وان يمنحها حقوقها ويحافظ عليها. وإلا فإن المشكلة ستتعاظم وسيقع الإنفجار عاجلا ام آجلاً وهذا ما سيحدث بدون شك في الولايات المتحدة وغيرها من الدول إذا لم تتنبّه لهذا الواقع؛ وقد كان هذا احد الأسباب الرئيسية لإنهيار الاتحاد السوفياتي سابقا، إذ انه كان مؤلفا من شعوب واثنيات متعددة لم يأخذ النظام السياسي آنذاك بخصوصياتها وحاول ضمان تعاظم حضارتها مما ادى الى تفككه وانهياره.

بالنهاية يمكننا القول ان ميشال شيحا آمن ايمانا راسخا بلبنان وطنا نهائيا لأبنائه جميعا وأحب هذا الوطن، بجميع جوارحه وأعطاه عصارة تفكيره وحاول بناء مجتمع ديمقراطي يقوم على إعطاء كل ذي حق حقه ووضع الرجل المناسب في المكان المناسب، إذ إنه كان يعتبر التوزيع الطائفي في المجلس النيابي توزيعا مؤقتا بحيث انه يقود في النهاية الى توحيد مختلف الطوائف ضمن طائفة واحدة هي طائفة: «لبنان».

جورج سلوم